بقلم: د . محمد بن عبدالرحمن الربيع
السعودية

مجالات

البحث والكتابة عن الرفاعي كثيرة متنوعة فقد ضرب بسهم وافر وله باع في مختلف مناحي القول والتأليف يدل على ذلك قائمة مؤلفاته وعموم نشاطاته لكني سأقتصر الحديث في هذه المحاضرة على موضوع واحد هو (الرفاعي في مجمع اللغة العربية بالقاهرة)، ولن أتطرق إلى نشاطاته في (مجمع اللغة العربية بدمشق) حيث إني لم أحط بها خبرا..(ن)

الرفاعي في مجمع الخالدين

انضمام الرفاعي إلى مجمع القاهرة:

أشرت في محاضرة سابقة عن الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - في مجمع القاهرة إلى حرص الشيخ على ضم عدد من السعوديين إلى المجمع أعضاء مراسلين ليستفيدوا خبرة في المجمع حتى يكونوا نواة لمجمع اللغة العربية السعودي وهو أمل ظل الشيخ حمد الجاسر يطالب به إلى وفاته.

يقول الشيخ الجاسر: وقد رأيت أن أبذل ما أستطيع من جهد في هذا السبيل لدى (مجمع اللغة العربية بالقاهرة) الذي مضى لي وأنا أمارس ما أستطيع من نشاط فيه أكثر من ربع قرن حيث استقبلت عضواً عاملاً في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٧٨هـ، فتقدمت إلى هذا المجمع مرشحاً أربعة من الإخوة الأساتذة للانضمام إلى أعضاء المجمع الذي بادر إلى تحقيق هذه الرغبة فأصدر قراراته بضمهم إلى إخوانهم حيث أصبحوا أعضاء يدعون في كل دورة من دورات المؤتمر السنوي للمشاركة في دراسة ما يعرض أثناء تلك الدورة من قرارات وما يقدم وقد تحال إليهم وهم في بلادهم بعض الموضوعات اللغوية التي تحتاج إلى دراسة ليبدوا آراءهم نحوها.

والأعضاء الأربعة الذين اقترحهم الجاسر ووافق عليهم المجمع هم:

١ - حسن القرشي (رحمه الله).
٢ - عبدالعزيز الرفاعي (رحمه الله).
٣ - عبدالله بن خميس.
٤ - محمد بن عمر بن عقيل (أبو عبدالرحمن).

وبعد ذلك تم ضم كل من:

١ - معالي الدكتور: أحمد الضبيب (عضواً مراسلاً ثم عضواً عاملاً في مكان الشيخ حمد الجاسر).
٢ - د. محمد بن عبدالرحمن الربيع.
٣ - د. عوض القوزي.

٤ - د. عبدالعزيز بن عثمان التويجري.

ومن ذلك يتضح أن ترشيح (الرفاعي) لعضوية المجمع كانت عن طريق شيخه حمد الجاسر رحمهما الله.

وقد ورد خبر تعيين الرفاعي عضواً مراسلاً في المجمع في التقرير الشامل الذي قدمه الأمين العام للمجمع آنذاك الأستاذ الدكتور شوقي ضيف، ونشر في مجلة المجمع (ج٦٤، رمضان ١٤٠٩هـ)، حيث عدد الأعضاء الجدد ومنهم عبدالعزيز الرفاعي.

مبررات العضوية:

لم أطلع على مذكرة الترشيح لعضوية الرفاعي للمجمع ولكن من المعروف أن الترشيح يتم من قبل أحد الأعضاء العاملين، ثم يتم التصويت عليه من قبل أعضاء المجمع وبعد ذلك يصدر قرار العضوية.

ولابد لمن يرشح لعضوية المجامع اللغوية أن يكون له نشاط وبحوث تخدم اللغة العربية في أي حقل من حقوق المعرفة.

وليست العضوية خاصة بعلماء اللغة المتخصصين في النحو والصرف وفقه اللغة وعلم اللغة بل إن المجمع يضم علماء في الطب والهندسة والزراعة والجغرافيا والتاريخ وآداب اللغة والإعلام وغير ذلك من العلوم، لكن لابد أن يكون للعضو - أو المرشح للعضوية - جهود كبيرة في خدمة العربية والدفاع عنها، ونشرها وتطور علومها.

وإذا عدنا إلى مكانة (الرفاعي) العلمية والأدبية والثقافية فسنجد الكثير من المبررات التي عضدت ترشيحه لعضوية مجمع (القاهرة) و(دمشق) ومنها:

١ - اعتزازه بالتراث العربي ودفاعه عنه ووقوفه في وجه الهجمات المغرضة التي تدعو إلى نبذه والتخلي عنه.

٢ - كفاحه ومنافحته عن اللغة العربية الفصحى ووقوفه ضد العامية.

٣ - بحوثه الأدبية المتنوعة وبخاصة ما يتصل بالشعراء المغمورين من أبناء الجزيرة العربية.

٤ - مقالاته الكثيرة المتنوعة كلها تخدم التراث واللغة.

٥ - ندوته الأدبية وما كان يدور فيها من محاضرات ومناقشات وما يلقى فيها من أشعار حتى أصبحت الندوة معقلاً من معاقل الأصالة ومنبراً من منابر الثقافة العربية حيث يرتادها ويشارك فيها أدباء العرب من مختلف الأقطار.

وبالمناسبة فقد حضر الندوة الرفاعية وشارك فيها عدد من أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة قبل أن ينضم الأستاذ الرفاعي إلى المجمع وبعد ذلك منهم الأستاذ الدكتور شوقي ضيف، ود. بدوي طبانة، ود. يوسف عزالدين، ود. ناصر الدين الأسد، والأستاذ أحمد حسين شرف الدين، والأستاذ محمود شاكر، و...

بحوثه في المجمع:

قدم الأستاذ الرفاعي البحوث التالية في مؤتمرات المجمع وتم نشرها في مجلته، وهي:

١ - عبدالله بن عمرو بن أبي صبح المزني (شعراء مغمورون):

ألقي البحث في الدورة الخامسة والخمسين (الأربعاء ١٤٠٩/٧/٢٣هـ)، وقد تم نشر البحث في مجلة المجمع.

ونشر أيضاً في مجلة (العرب) ج٩، س١٠/ الربيعان ١٤١٠هـ.

وتم نشره في كتاب مستقل، صدرت طبعته الأولى عام ١٤١١هـ.

حمد الجاسر

٢ - **خارجة بن فليح المللي (شعراء مغمورون):**

ألقي البحث في الدورة السادسة والخمسين (السبت ١٤١٠/٨/٦هـ).

وتم نشره في مجلة المجمع، العدد (٦٧ ربيع الآخر ١٤١١هـ).

ونشر أيضاً في مجلة (العرب)، ج٥ و٦، س ٢٥، ذو القعدة وذو الحجة ١٤١٠هـ.

وتم نشره في كتاب مستقل.

٣ - **ابن المولى: حياته وشعره (شعراء مغمورون):**

ألقي البحث في الدورة الثامنة والخمسين (١٤١٢/٧/٢٨هـ).

وتم نشره في مجلة المجمع (العدد ٧٤، ذو الحجة ١٤١٤هـ).

ولم يشر كثير من الذين كتبوا عن الرفاعي إلى هذا البحث القيم كالحارثي وباعطب ومصطفى حسن، إلا أن الدكتور إبراهيم الشتوي قد اطلع عليه وتحدث عنه ووصفه بأنه لا يزال مخطوطاً، ثم استعرض محتويات البحث وقال في نهاية عرضه في كتابه: «عبدالعزيز الرفاعي أديباً»، ص: ١٠٠: «ولأن الكتاب لا يزال مخطوطاً فهو بحاجة إلى مراجعة وتدقيق إذ يفتقد إلى كثير من الهوامش والإحالات ولعله كان في نية الكاتب أن يعدل هذه الملاحظ كما قد يضيف إليه دراسة مفصلة عن شعره. وكتاب الشتوي مطبوع عام ١٤١٩هـ، والبحث منشور في مجلة المجمع عام ١٤١٤هـ كما أوضحنا سابقاً.

ولكن ما سر اهتمام الأستاذ الرفاعي بهؤلاء الشعراء الذين وصفهم بالمغمورين.

يقول الرفاعي في تقديمه لبحثه عن (ابن المولى) في المجمع تحت عنوان فرعي للبحث (كليمة): هذا الحديث هو الحديث الثالث من سلسلة أحاديثي الحولية التي

د. شوقي ضيف

خصصتها لمجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ شرفت بالانضمام إليه عضواً مراسلاً وهو عن الشاعر (ابن المولى) بحسبانه شاعراً مغموراً في محاولة لتقديم صورة عنه وتجميع ما تيسر من أشعاره، فالسلسلة تعنى بالشعراء المغمورين، فالحديث عن الأول كان عن الشاعر المدني (عبدالله بن أبي صبح المزني) مع محاولة جمع أشعاره ألقيته في فبراير ١٩٨٩م، والحديث الثاني كان عن الشاعر (خارجة بن فليح المللي) خصصته لدورة فبراير ١٩٩٠م، وهذا الآن عن (ابن المولى محمد بن عبدالله بن مسلم).

وفكرة إنصاف مثل هؤلاء الشعراء المجيدين كانت قديمة لدي فقد كتبت عن العرجي وضرار بن الأزور وأرطأة بن سهية وزيد الخير وغيرهم مما نشر ومما لم ينشر بعد، ثم يقول عن صعوبات البحث: ومحاولة تتبع أخبار شاعر غير مشهور لم يعن به الدارسون كثيراً والربط بين هذه الأخبار وتنسيقها وجمع أشعاره المنتشرة بين شتى المصادر عملية غير يسيرة، ومع هذه الصعاب التي تتكرر كلما حاولت أن ألقي أضواء على شاعر مغمور أجدني مدفوعاً لاستمرار هذه المحاولات عسى أن أسهم بنحو ما في إضاءة شمعة مهما كانت خافتة على ذلك الظلام الذي يحيط بهؤلاء الشعراء الذين أعتقد أن في حيواتهم وأشعارهم ما هو جدير أن يكون في دائرة الضوء.

٤ - **التعريب قبل فوات الأوان:**

ألقي في الدورة الثامنة والخمسين (١٤١٢/٨/١هـ).

وتم نشره في مجلة المجمع (العدد ٧٣ جمادى الآخرة ١٤١٤هـ).

٥ - **أصداء قريبة:**

بحث عن بعض الكلمات المتداولة مثل (يا بختك/ العوم...).

بحث منشور في العدد (٦٨) من مجلة المجمع (شوال ١٤١١هـ).

هذه هي البحوث التي قدمها الأستاذ الرفاعي لمجمع القاهرة وتم نشرها في مجلته.

ومن المعروف أن نشاطات أعضاء المجمع لاتقتصر على تقديم البحوث بل تمتد إلى المشاركة في الجلسات الكثيرة المخصصة لمناقشة (المصطلحات العلمية) ومواد (المعاجم) وبخاصة (المعجم الكبير)، وكذلك ما تقدمه اللجان العلمية كلجنة (الأساليب) وغير ذلك، وللرفاعي مداخلات وتعليقات مفيدة في ذلك[1].

الرفاعي يتحدث عن المجمع والمجمعيين[2]:

وقد وصف لنا الرفاعي في مقدمة مقال له نشره في مجلة (عالم الكتب) انطباعاته عن المجمع قبل أن ينضم إليه وبعد أن عرف جهوده وأعماله من خلال المشاركة في دوراته فقال في مقدمة عرضه لكتاب الدكتور شوقي ضيف رحمه الله: «مجمع اللغة في خمسين عاماً»:

مجمع اللغة العربية في القاهرة أو المجمع اللغوي كما اعتدنا أن نطلق عليه كم ظلمناه؟! وكم سخر منه الساخرون؟! وكم جهلنا قدره؟ وتجاهلنا أعماله؟! وكم أهملته الصحافة وغفل عنه الغافلون؟!

وهكذا نقل لنا الرفاعي الصورة النمطية للمجمع في أذهان البعيدين عن نشاطه ومنهم الرفاعي نفسه قبل الانضمام إلى المجمع.

وما أبرئ نفسي، وكان لجهلي بأعمال هذا المجمع وغيره من المجامع المماثلة أثره الكبير في الأحكام الخاطئة التي ترسبت في ذهني بالإضافة إلى تلك التشويهات الصحفية التي تضافرت مع ذلك الجهل.

ثم يصف لنا تغير نظرته إلى المجمع بعد ذلك فيقول:

ولقد ظللت على جهلي حتى أتيح لي أن أشهد عن كثب بعض نشاط مجمع اللغة العربية في القاهرة فإذا أنا أمام أعمال كبيرة ينجزها في صمت أو فيما يشبه الصمت فعجبت بل دهشت وأدركت مدى خطئي في حق هذا المجمع ومدى الظلم الذي لحقه من ظالميه أو من الذين جهلوا قدره مثلما جهلت.

ثم يقدم لنا وصفاً دقيقاً للمجمعيين فيقول:

وعندما قيض لي أن أجتمع بأولئك الرجال النخبة الذين ضمتهم بعض جلسات المجمع أو بعض مؤتمراته أدركت أنني أمام صفوة مختارة من رجال العلم والأدب والفكر هم في مجملهم شوامخ وقمم في مكانتهم العلمية والفكرية، وفي اجتهاداتهم في البحث وتعمقهم في فنونهم، وفي تضافرهم لخدمة أهدافهم الجليلة، وفي إدراكهم للمهمة العظيمة التي ألقيت عليهم وهي مهمة يشرئب إليها التاريخ وتحاسبهم عليها الأجيال مع ما لمسته في جلهم من وهن العظم وضعف الجلد وتضاؤل الاحتمال إلا أنهم شُعل ذهنية متوقدة، حماسهم أكبر من قواهم، وتحفزهم أعظم من طاقاتهم الجسدية.

ومن تواضعه أنه عندما سئل عن مشاركته في المجمع أجاب قائلاً[3]:

أما في اجتماعات مجمع اللغة العربية في القاهرة فأنا فيه كما تعلمون عضو مراسل، ومؤتمراته سنوية أيضاً، وكلما أتيح لي حضورها شعرت بضآلة شأني بين عمالقة الفكر والأدب واللغة.

هذه إطلالة على جهود (الرفاعي) وبحوثه في (مجمع القاهرة) وهي تدل على نشاط جيد إذا لاحظنا قصر المدة التي قضاها في المجمع، فقد التحق به عام ١٤٠٨هـ وألقى بحثه الأول (عبدالله بن أبي صبح) في الدورة (الخامسة والخمسين ١٤٠٩هـ)، والثاني (خارجة بن فليح) في الدورة (السادسة والخمسين ١٤١٠هـ)، والثالث (ابن المولى)، وكذلك الرابع (التعريب) في الدورة الثامنة والخمسين (١٤١٢هـ)، وتوفي عام (١٤١٤هـ).

رحم الله (الرفاعي) رحمة واسعة ■

الهوامش:

(*) من حديث الدكتور محمد بن عبدالرحمن الربيع في ندوة الوفاء الخميسية للشيخ أحمد باجنيد بالرياض في ١٤٢٦/١١/٢٠هـ.

١ - أدب عبدالعزيز الرفاعي للدكتور محمد مريسي الحارثي، ص: ١٠٠.

٢ - مجلة عالم الكتب، المجلد الرابع عشر، العدد الثالث، ذو القعدة - ذو الحجة، ١٤١٣هـ.

٣ - عبدالعزيز الرفاعي: صور ومواقف، تأليف أحمد سالم باعطب، ج٢، ص: ١٥١، نقلاً عن حوار مع الرفاعي نشر في مجلة (اقرأ)، العدد: ٩٢١ بتاريخ ١٤١٤/١/٢٥هـ.